دكتور بهاء الأمير

أخطاء الإسلاميين في الثورة







٢٠٢٠م

تعليق ونقد

Mosab Khalifa



السلام عليكم ورجمة الله، نحمد الله حمداً كثيراً على العودة بعد انقطاع، كنت قد تركت رسالة بخصوص المعيار والميزان في منهجية الإصلاح تحت أحد الفيديوهات السابقة قبل شهور ولكن شاء الله أن ينقطع الدكتور من أجل كتابه الأخير، الآن وقد عاد ليستقبل الرسائل نرجو منه تكرماً أن يعلق لنا على الموضوع، وشكراً.

١-رسالة بخصوص المعيار والميزان في منهجية الإصلاح الحق، الحمد لله الذي هدى قلوبنا بعد زيغها، والصلاة و السلام علي الرسول النبي الأمي المبعوث بالنور هدى ورحمة للعالمين، ثم من بعد ذلك تحية طيبة لأستاذنا الجليل، الدكتور بهاء الأمير، نفعنا الله بعلمه وبارك له في عمله وزاده في بصيرته وجزاه عنا خير الجزاء.

هذه رسالة من أحد متابعيكم في موضوع مهم وحساس أتمنى أن يجد حظه من سعة الصدر والتفهم أولاً، ثم الاهتمام والدراسة ثانياً، لأنه من وجهة نظرنا القاصرة هو مبتدأ الطريق نحو إعادة معمار عالم الوحي إلى بلاليص ستان، ولب نواة الاصلاح الحق، لكن لا بد من مقدمة أولاً أراها ضرورية لايصال المعنى المراد بغير لبس إن شاء الله.

يقول دكتور بهاء الأمير معرفاً طريقة الاصلاح الشامل للبشرية في كتابه شفرة سورة الاسراء، صفحة رقم (١٤٠ - ١٤٣): "فلما اتسعت البشرية وصارت أمماً وشعوباً شاءت إرادته عز وجل أن يصطفي أمة كاملة لا رجلاً واحداً، ينزل على رجل منهم وحيه ويؤتيه رسالة إلى البشر .... في خطة شاملة لإصلاح مسيرة البشرية عقائدياً وأخلاقياً واجتماعياً وسياسياً واقتصادياً"، مما يعني أن اصطفاء بني

إسرائيل وبعث النبيين فيهم وإنزال الوحي متتابعاً عليهم كان مرحلة فارقة في تاريخ البشرية، أقر الله تعالى فيها سنة جديدة راسخة من سننه الكونية، وهي أن التغيير الجذري لأحوال البشر وإعادة هيكلة العلاقات الاجتماعية والسياسية بينهم وهدم نظام قديم لبناء نظام جديد مكانه، لا بد له من أمة كاملة تتشرب المنهج الجديد وتستوعبه وتقيم به دولة وجماعة ونظام، ثم عن طريق تلك الدولة الجديدة تنطلق الأمة مجاهدة في أصقاع الأرض لبدء مسيرة التغيير الشاملة، يستوي في ذلك التغيير من الباطل إلى الحق أو من الحق إلى الباطل!

أي أن نجاح شخص ما أو فشله في عملية الاصلاح والافساد على السواء مقرون بمدى فهمه لسنن الله في كونه، ثم أن يطبقها ويستخدمها لصالحه، سواء كان ذلك الشخص من أولياء الله الصالحين أم من مردة الشياطين، فقد بعث الله موسى إلى بني اسرائيل وقفَّى من بعده بالرسل، وأمرهم بالخروج من مصر الفرعونية حيث كانوا مستضعفين إلى الأرض المقدسة لتكون مهاجرهم ومركز الدولة الجديدة، ففعلوا ذلك بعد أجيال من عصيانهم لموسى عليه السلام والتيه الذي ضُرب عليهم، ثم أقاموا دولتهم التي كانت نواة الإصلاح في العالم آنذاك وبلغت أوجها في عهد داوود وسليمان عليهما السلام.

ثم غيروا وبدلوا بعد ذلك فحقت عليهم سنة الاستبدال، فاستبدلهم الله بهم أمة القرآن التي سارت على نفس السنن الإلهية التي لن تجد لها تبديلاً ولا تحويلاً، فلقد آمن في بداية الأمر نفر قليلون برسول الله عليه الصلاة والسلام، ثم خرجوا من أرض الاستضعاف في مكة إلى مهاجرهم في المدينة، وهناك أقامو دولتهم الجديدة على منهاج الكتاب الذي أنزل فيهم واقتداءًا بالنبي الرسول القائد الذي بين ظهرانيهم، ومن هذه الدولة الوليدة انطلقوا في أصقاع الأرض فساحت أمامهم أعتى الدول والإمبراطوريات ودخل الناس في دين الله أفواجاً وتم الاصلاح.

بعد هذه المقدمة أطرح سؤالي على دكتور بهاء الأمير، في زماننا هذا وقد ختمت النبوة والرسالات وانقطع الوحي وتوشك دورة الفساد الثانية أن تكتمل وتعم الأرض،

هل يمكن أن تنهض أمة تقوم بالإصلاح وتزيل الإفساد وتهدم عالم البروتوكولات والمعمار التوراتي للعالم وتقيم عالم الوحي والمعمار القرآني له، هل يمكن أن يتم ذلك لهذه الأمة بغير اتباع نفس السنن الكونية التي لا تتبدل ولا تتحول؟

ما دعاني إلى طرح هذا التساؤل على فضيلتكم هو أني أراكم دائماً عند الحديث عن الإصلاح الحق تقولون إنكم لستم من أنصار فكرة هدم الدول وإسقاط الأنظمة، كما ذكرتم مثلاً في دراسة: "الفريضة الغائبة عما يحدث في مصر العلماء والميزان"، وأن هدفكم دائماً هو: "احياء هندسة المعيار والميزان وإعادة جميع الأطراف إليها"، كما ذكرتم في كتاب: "ولي الأمر المتغلب وهندسة المعيار والميزان"، وفي نفس الكتاب أنه: "لو ترك الإسلاميون دائرة السلطة في مصر إبان ثورة الخامس والعشرين من يناير وجعلوا وجهتهم المجتمع وتغلغلوا في أنسجته لتحريره من القيود اليهودية الماسونية .... لتغير تاريخ مصر وتاريخ الشرق كله".

نعم نتفق أن الوسائل الشائعة في زماننا هذا مثل الثورات والتظاهرات لا تتفق مع معايير الإسلام وموازينه، وأن إسقاط الأنظمة بهذه الوسائل يؤدي الى مفسدة أكبر، ولكن هذا لا ينفي أن إسقاط الأنظمة نفسه ضروري وحتمي من أجل الإصلاح، ولكن لابد من تخير الوسائل لذلك مما لا يزيل الضرر الحالي بكارثة أكبر منه، فكيف يمكن إصلاح بلاليص ستان بشكلها الحالي وإعادة عالم الوحي إليها مع المحافظه على معمارها القومي التوراتي الذي أقيمت عليه دون اسقاطها؟

كيف يمكن اصلاح دول دون إسقاطها وهي قد تم تشكيلها ورسم حدودها أصلاً بواسطة الامبراطوريات الماسونية؟ بل وبعضها دول مختلقة وتم اقتطاعها من الخريطة لتحمي الحدود الشرقية للدولة اليهودية، كيف يمكن إعادة المعيار والميزان لطبقات حاكمة ومؤسسات دولة وجيوش ونظم قام بتشكيلها ووضع قوانينها ونظمها اليهود والماسون إبان فترة الاستعمار، وأصبحت هذه الطبقات الحاكمة والمؤسسات الحكومية مثل الحضَّانة تقوم كل فترة وأخرى بتفريخ أحد اليهود الأخفياء أو خريجي

حواري اليهود ليتولوا السلطة، ثم يقوموا هم بتطويع المجتمع وتعبيده لهم تحت شعار: "الحفاظ على مؤسسات الدولة"؟

٢-أما الإشكال الأكبر من وجهة نظري، (و ليعذرني دكتورنا الفاضل في عبارتي)، هي فكرة اعتزال السلطة والانصراف إلى تربية المجتمع والتغلغل في نسيجه!! سبحان الله وهل أفسد بلاليص استان غير حكامها وطبقات السلطة فيها؟

نعم أوافقك أن الإسلاميين الحاليين لا يصلحون للسلطة في شيء ولا يفقهون أصلاً في السياسة، ولكن هل هذا يعني أنه إذا قام رجال مسلمون حقاً بالأمر فإنهم لا يحتاجون السلطة لإصلاح البلاد والعباد؟؟

السلطة تعني القوة، وأي تغيير جذري لا يتم إلا بالقوة، وهذه ظاهرة انسانية مضطردة، بل لا أكاد أعرف على المستوى الشخصي مثالاً مناقضاً لها في التاريخ.

دعوة النبي عليه الصلاة والسلام في العهد المكي قامت على الدعوة السرية ثم الجهرية من غير أي سلطة سياسية أو مجتمعية، فآمن معه صفوة الصفوة، فكان عددهم في حدود (المائة وخمسين فقط)، وكانو مضطهدين مستضعفين طيلة ثلاثة عشر عاماً ثم أذن الله بالهجرة ثم تكوين الدولة ثم الجهاد، كل هذا ورسول الله على رأس السلطة زعيماً وقائداً أعلى للجيوش، وقبل كل هذا نبياً رسولاً، فلم تنقض ثمان سنوات حتى عاد إلى مكة على رأس (عشرة آلاف مقاتل)، فخضعت مكة وخضعت من ورائها قبائل العرب.

وسار الخلفاء الراشدون من بعده والممالك الإسلامية من بعدهم على نفس المسار و الدرب يرون تولية الخليفة ورأس السلطة من أوجب الواجبات، ومن أشهر الأمثلة الشبيهة بزماننا هذه فترة الحروب الصليبية حين سقط بيت المقدس تحت وطأة حملات صليبية الغلاف يهودية القلب، والعالم الإسلامي بين خليفة شكلي في بغداد لايملك من أمره شيئاً ودول شيعية الظاهر باطنية الباطن تحكم قلب العالم الاسلامي، فقيض الله للمسلمين صلاح الدين يوسف ليكون لهم فيه صلاح دنياهم،

فعندما وصل إلى مصر لم يذهب بنفسه أو يرسل رجاله لتربية المجتمع أو التغلغل في نسيجه، وإنما جاء وزيراً للخليفة العُبيدي، وبعد أن زال خطر الصليبيين قام هو نفسه بتقويض وهدم دولة العبيدين، ونصب نفسه أميراً ورأساً للسلطة على مصر، وأعاد مجتمعاً وأمة باكملها ومعها الأزهر الشريف من المذهب الشيعي إلى المذهب السني، ثم وحد الشام ومصر تحت قيادته، وبهما معاً حرر القدس وأزال مملكة أورشليم الصليبية، فهل كان ليتم له هذا كله إذا انصرف واعتزل الصراع على السلطة؟؟

وبالمقابل يقول الدكتور بهاء الأمير في كتاب ولي الأمر المتغلب وهندسة المعيار والميزان: "عبد الناصر هو الذي أفسد مصر وأطاح بالأزهر وأزرى بعلمائه، وألغى القضاء الشرعي وصادر الأوقاف، وأطلق الملاحدة والفسقة والزنادقة في مصر و....."، فهل كان لعبد الناصر أن يفعل هذا كله في أقل من عشرين سنة لو لم يكن يحوز السلطة!

مرة أخرى، نعم إذا كان الحديث مختصاً بالإسلاميين الحاليين فالأفضل أن لا يصلو إلى السلطة بأفهامهم السقيمة هذه، لأن انتكاستهم ستكون وبالاً على الأمة كلها، كما الحال في السودان، لكن تصدير مفهوم اعتزال السلطة مطلقاً والتركيز على العمل الدعوي وتربية المجتمع لا أعتقد أنه عمل صائب، فالحاكم بما له من وسائل السلطة والشوكة والقوة الخشنة يستطيع أن يمسخ المجتمع ويبدل دينه وعقائده في بضع سنين، والله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، وما بناه عالم الوحي في أكثر من ألف عام هدمه اليهود والماسون في أقل من مائتي عام، وما تم لهم ذلك إلا بالإطاحة بسلطة عالم الوحي بالقوة الخشنة، ووضعوا على صدرها سلطة ونخبة من تصنيعهم.

فهل إذا بعث أصحاب رسول الله اليوم ووجدوا أنفسهم في دولة يحكمها أحد اليهود الأخفياء، هل كانوا لينصرفوا لتربية المجتمع والدعوة في المساجد؟

قطعاً ستختلف التفاصيل، فلن يكونو جماعة إسلامية من نوع فصل الدعوي عن السياسي، ولن يهتفوا ويصرخوا بأن سلميتهم أقوى من الرصاص، ولا غيرهم من الجماعات التي تخرج على الأمة تضرب برها وفاجرها، ولكن قطعاً سيكون من أولى أولوياتهم إزاحة الفساد بقطع رأسه.

سؤال أخير، من المؤكد أن في مخيلة أي مسلم غيور على دينه هذه الأيام تصوراً معيناً أو سيناريو افتراضياً، أو حتى مجرد آمال وتوقعات لكيفية الإصلاح في بلاد الاسلام لإعادة المعيار والميزان واستعادة المقدسات المحتلة، ثم إقامة دولة اسلامية حقة، خلافة كانت أو غيرها من المسميات، فهل يتفضل علينا دكتورنا الفاضل ويخبرنا بتصوره الشخصي، فقد طالت النكبة وتباعد العهد وخرجت أجيال وأجيال في ظل المسار الماسوني لبلاد بلاليص استان، حتى نسي المسلمون من هم، وماهو إرثهم، وإلى أين هم ذاهبون؟

ختاماً أرجو المعذرة للاطالة، وليسامحنا دكتور بهاء عن أي تطاول أو عبارة أزعجته دون قصد منا، فما أردت إلا الإصلاح وما توفيقي إلا بالله.

الرد

دكتور بهاء الأمير

(١)

في أي مسألة ينبغي التفرقة عند البحث عن حلولها بين الكلام العام والأحكام الإجمالية وبين الحلول العملية الواقعية، فالأحكام الإجمالية والحلول العامة تتعامل مع المسألة كقضية علمية أو مسألة نظرية دون اعتبار لخصوصيات الواقع وتفاصيله وتوازناته، ولما يترتب على الاختلاف بين هذه الخصوصيات والتفاصيل من تحول المسألة عملياً أو واقعياً إلى مسائل متعددة ومختلفة، لكل منها حُكم وحلول غير الأخرى، ولا يصح نقل حكم مسألة منها إلى الأخرى، وإلا لتحول الكلام في المسألة إلى أوهام نظرية وصار من يقول به من حفظة الأكلشيهات.

والتعامل مع مسألة ما ومعالجتها والبحث عن حلها وقد صارت واقعاً يتطلب مراعاة ظروف المكان وملابسات الزمان، وأطرافها وعناصرها الواقعية المختلفة، والقدرة والإمكان، وما هو متاح فعلياً من حلول.

والفرق بين الحلول النظرية والعملية هو بالضبط مثل الفرق بين طالب الطب أو الطبيب الكولشنكان الذي حفظ كتب الطب النظرية التي تدرس في كليات الطب وتصف للأمراض حلولاً وعلاجات مطلقة، فإذا أتاه عشرات المرضى أعطاهم جميعاً الوصفة التي حفظها من الكتب دون اعتبار لحالة كل مريض وما بينهم من اختلافات، وبين الطبيب الحاذق الماهر الذي يدرك الفوارق بين الحالات، وأنها ليست صوراً طبق الأصل من بعضها، ولذا يصف لكل مريض ما يناسبه، وتختلف وصفته وإن كانت العلة إجمالاً واحدة وتبدو في ظاهرها وكأنها هي هي.

والأوضاع الحالية لبلاليص ستان وخلال الثورات، هي مثل مريض مصاب بعلل وأمراض متعددة، وعلاجاتها متعارضة، وعلاج كل علة منها يؤدي إلى تفاقم

الأخرى، فالتعامل مع مثل هذه الحالة المعقدة لا يكون بالنظر لكل علة منها ووصف العلاج المثالي لها بمعزل عن الأخرى، وإلا لكانت النتيجة الفعلية هي قتل المريض، بل يجب اختيار أقل العلاجات سوءاً وتعارضاً مع للعلل الأخرى، وإن لم يكن الأفضل ولا الأسرع في شفاء العلة في غير هذا المريض وهذه الحالة المعقدة.

(٢)

ما تقوله صحيح ولا أختلف معه في أي شيء من الناحية النظرية، وقد قلتُه وأكثر منه في كتاب الوحي ونقيضه، وفي غيره مما كتبت، فممارسة السياسة وخوض صراعاتها والوصول إلى السلطة هي أفعل الوسائل وأسرعها في التغيير وإصلاح المجتمعات، كما أنها أفعل الوسائل وأسرعها في إفسادها.

وهنا يجب الانتباه إلى الفرق بين ممارسة السياسة والاشتغال بها أو التنافس مع خصوم تنتمي إلى نفس الدائرة من السلطة أو الدولة، مثلما يحدث في الانتخابات في دول الغرب، وبين خوض صراع سياسي حاد والسعي إلى إزالة دولة وانتزاع السلطة من الذين هم على رأس هذه الدولة، إذ يتطلب ذلك نخبة واعية خلاقة ذات بصر ودهاء وسعة في الرؤية، وقدرة على فهم الواقع وإدراك توازناته والقوى الحقيقية الفاعلة فيه والتي عليها محالفتها أو منازلتها، والمرئي منها والمحجوب خلف الواجهات، واختيار الخطوة المناسبة في الوقت الملائم لها، والقدرة على المناورة والتقدم عند استكمال العدة، والتراجع والكمون إذا لزم ذلك، والإعراض عن فوز سياسي ظاهر أو قريب من أجل حسم مسار طويل.

وفي أزمات أو صراعات سياسية معينة قد يكون الابتعاد قليلاً عن السياسة والتمنع عن تصدر السلطة هو أبرع خطة سياسية للوصول إلى السلطة!!

(٣)

الوصول إلى السلطة ليس مجرد إزاحة السلطة القائمة والحلول محلها في القصور وتصدر الصحف والشاشات، وإلقاء الخطب في المؤتمرات، وبسط السجادات والاستقبال في المطارت، كما يتوهم عوام الناس، وجماعة الإخوان منهم ولا فرق بينها وبينهم، بل الوصول الحقيقي إلى السلطة يكون بالقدرة على ملء الفراغ الناشيء عن إزاحة السلطة السابقة، وعلى الإمساك بزمام الأمور، وإخضاع المناوئين والخصوم، وضبط عموم المجتمع والسيطرة على قواه ومفاتيحه الفاعلة سياسياً واجتماعياً واقتصادياً، وهو ما لا سبيل له إلا بحيازة قوة مادية خشنة وقاهرة، وإن لم تظهر في العلن أو تم تغليفها بالقوى والشعارات الناعمة.

وجميع من ذكرتهم أو أشرت إليهم في نقدك أو تعليقك، ممن وصلوا إلى السلطة في بلاليص ستان وتمكنوا منها، لم يحوزوا السلطة ويُخضِعوا الخصوم وعموم المجتمعات بالهتافات والمؤتمرات والخطب، ولا بالإرادة الشعبية، فهذه كلها ليست سوى أغلفة لحجب قوى قاهرة خلفهم ترسم لهم المسار وتفتح لهم الطريق إلى السلطة وتمدهم بوسائل القوة اللازمة للقضاء على الخصوم والسيطرة على المجتمعات، وهذه القوى هي الإمبراطوريات الماسونية وجيوشها ونفوذها وأموالها، ولكن لأن قادة جماعة الإخوان عوام كغيرهم من العوام، ويتعاملون مع سطح الأحداث ولا يرون ما وراءها ولا يدركون أبعادها المختلفة، فقد توهموا أن الخطب والهتافات والشعارات والانتخابات يمكن أن تكون بديل القوة الحقيقية في الوصول إلى السلطة والاستقرار فيها.

وكل ما قلتُه عن معارضتي لمنهج التحريض على السلطة في بلاليص ستان والسعي لإزاحتها، فلأنه لا توجد عند من يدعون إلى ذلك من القوة ما يمكنهم من إسقاط هذه الدول، ولا الحلول محلها إن تمكنوا من إسقاطها، ولأن المفاضلة هنا ليست في الحقيقة بين هذه الدول وبينهم، بل هي بين هذه الدول وبين الفراغ والفوضى، ولأن من يعي منهم أن المسألة تتعلق حقيقةً بحيازة القوة، يسعى ويخطط لأن تكون هذه القوة في الاستعانة بالإمبراطوريات الماسونية والتحالف معها، وبذلك

يكررون المأساة مرة أخرى، والمفاضلة في هذه الحالة أيضاً ليست بين هذه الدول وبينهم، بل بينها وبين وراثة دولة بني إسرائيل للمنطقة كلها.

وفي الوقت نفسه فإن ترك التحريض على هذه الدول والسعي لإسقاطها، لا يعني النكوص عن اتخاذ الوسائل السياسية والاجتماعية الملائمة والممكنة للضغط عليها من أجل التراجع عن أخطائها وسياساتها المختلة وإهدارها لحقوق عموم الناس.

(٤)

نعم انتقدت جماعة الإخوان إبان الثورة لأخطائها العديدة والحمقاء، ومنها سعيها الحثيث إلى الدخول في دائرة السلطة والجلوس على رأس الدولة في مصر، وما زلت أصر على ما قلته، وهناك كثيرون وبعضهم من الإخوان قالوا مثل هذه الانتقادات، والفرق بيني وبينهم أنهم قالوها بعد أن وقعت الواقعة ومرت عليها سنوات، ومن باب الندم على ما فات، بينما قلتها وانتقدتهم وهم في ذروة نشوتهم بدخول قصر الرئاسة، فمقطعا أخطاء الإسلاميين، وعنوانهما: أوهام القوة المطلقة، ورئيس يرأس ولا يحكم، صَوَّرهما معي بعض الشباب في بيتي يوم ١٨ يونيو ٢٠١٢م، يوم انتهاء فرز نتائج جولة الإعادة في الانتخابات الرئاسية وظهور فوز دكتور محمد مرسي رحمه الله بها.

ومن هذه الأخطاء عدم إدراكهم لحقيقة ما يحدث في مصر، وعمَاهم عن القوى الفاعلة المدبرة للثورة وغير المرئية على مسرحها، وإصرارهم على أنها ثورة ربانية مباركة لا يجوز لأحد أن ينتقدها ولو كان من أجل تبصرتهم وتنبيههم، وسوء تقديرهم لموازين القوى وعدم وعيهم بأطرافها الحقيقية في مصر، وفتحهم لجبهات خصومة متعددة ومع أطراف عديدة في وقت واحد دون أن يكونوا قادرين على حسم أي منها، وتوهمهم أن الانتخابات والإرادة الشعبية تمنحهم قوة مطلقة، وانشغالهم بالفوز في المعارك الصغيرة والجانبية على حساب المحافظة على الاتجاه والمسار الذي تكَوَّن بالثورة، وانخداعهم بالأمريكان، واندفاعهم في انعدام بصيرة وحماقة بالغة نحو أي

شيء توضع عليه لافتة الانتخابات ويرون إشارات الأمريكان الخضراء مفتوحة لهم نحوه، دون أن ينتبهوا إلى المصيدة المنصوبة لهم في داخله، وعدم قدرتهم على المناورة والتراجع حين كان يتحتم ذلك، ورفعهم أو رفع بعضهم ومن يُحسبون عليهم لشعارات غائية لا محل لها في لحظة الثورة واقعياً، والسياسة والدهاء السياسي ليست في السعي إلى غايات مثالية والهتاف بها ولا في أن تكسب دائماً، بل في تحقيق الممكن في زمانه ومكانه، وفي أن لا تخسر وتحافظ على جسمك وقوتك ولو بالانسحاب.

والحركات الإسلامية عموماً، وجماعة الإخوان خصوصاً، لم تكن في سيناريو الثورة سوى أداة لتحريك الأحداث في يد أطراف أخرى غير مرئية في مشاهد الثورة، وهي في الحقيقة التي تسيطر على مفاتيحها والقوى الفاعلة فيها من مختلف الاتجاهات، حركات الشباب والإخوان والجيش، لكي يفتحوا بهم جميعاً الطريق لثالث الآتين من الخلف، ويتمكنوا من نقل مصر وبلاليص ستان كلها إلى ما وصلت إليه وتراه أمامك، والمصيبة أنهم لم يدركوا ذلك في أثناء الثورة والتهاب أحداثها، والمصيبة الأكبر أنهم ما زالوا لا يدركونه إلى اليوم!

(٥)

رأيي الذي قلته لبعض الشباب في حينه وما زلت عليه، أن دخول الإخوان في انتخابات الرئاسة وسعيهم لدخول القصر والجلوس على رأس الدولة المصرية، في ظل الثورة وما واكبها من ملابسات وتوازنات، هو أحد أغبى الأخطاء السياسية في تاريخ مصر الحديث، وربما أغباها على الإطلاق، ومن اتخذوا هذا القرار ليسوا ساسة ولا يصلحون لممارسة السياسة، ومن أعطوهم الإشارات الخضراء لهذا إنما كانوا يدفعونهم نحو مصيدة يعرفون أنهم لن يخرجوا منها سالمين.

أولاً لأنهم وهم خارج السلطة كان يمكنهم الحركة بحرية والتحالف مع هذا الطرف أو ضربه بذاك، ولكن دخولهم إلى قصر الرئاسة ترتب عليه توحيد جميع خصومهم

في توجيه الضربات ضدهم والسعي لإسقاطهم دون أن يمتلكوا الوسائل ولا القوة اللازمة لإخضاع الجميع، وهي نتيجة يعرفها كل بصير بالسياسة والتاريخ.

وثانياً لأنهم لم يدركوا أن إسقاط مبارك ونظامه لا يعني إسقاط دولته، ولم يكونوا على وعي بالفجوة بين القوانين الرسمية الورقية وبين قوة الواقع الفعلي، فتوهموا أن فوزهم القانوني بالانتخابات يعني الإمساك بمقاليد السلطة وأن تخضع لهم الدولة التي صاروا نظرياً على رأسها، بينما الواقع أنهم صاروا على رأس دولة لا تعترف في الحقيقة بهم، وجميع مفاصلها ومفاتيحها خارج أيديهم، ولن تمكنهم من الوصول إليها، وأجهزتها السيادية والمسيطرة فعلاً عليها وعلى كل شيء في مصر تستدرجهم وتدبر لإسقاطهم.

وثالثاً وهو الأهم أنهم قبل الدخول إلى قصر الرئاسة كانوا قوة شعبية، يصطف عموم الناس خلفهم، ويتكلمون هم ويطالبون السلطة باسمهم، فلما صاروا في السلطة تغيرت المعادلة تلقائياً وانتقل عموم الناس من مؤازرتهم والاصطفاف خلفهم إلى الوقوف في مواجهتهم ومطالبتهم بما كانوا يطالبون هم به وهم خارج السلطة.

فدخولهم إلى قصر الرئاسة أفقدهم ورقة القوة الوحيدة التي كانوا يحوزونها ويتمترسون خلفها، وهي الإرادة الشعبية وكتل العوام المسلمة، فمنحوا بذلك خصومهم فرصة تهييج هذه العوام عليهم وشرعية توجيه الضربات لهم وإزاحتهم ثم الفتك بهم.

ولو ابتعدوا عن دائرة السلطة وقصر الرئاسة، وتركوا خصومهم المختلفين داخل الأوضاع السائلة بعد الثورة يتنازعون على السلطة ويستنزف بعضهم بعضاً، وظلوا هم في المواقع التي تحفظ عموم الناس مصطفين خلفهم، وكانوا على وعي بهذه الورقة، ويمتلكون من الدهاء وسعة الرؤية والعقل والقدرة على المناورة السياسية ما يُمكِّنهم من استخدامها بمهارة وتصديرها في وجوه خصومهم جميعاً ومنازلتهم بها، لما امتلكت أي قوة في مصر شرعية ضربهم، ولوصلوا إلى السلطة بعد حين، ولتغير فعلاً مسار مصر والشرق، ولكانت هذه إحدى أبرع المناورات السياسية في التاريخ.

ولكن الذين قدحوا شرارة الثورة وكانوا يحركون الأحداث من خلال الجماعة وفتحوا لها الطريق وإشاراتهم الخضراء نحو السلطة، كانوا يعلمون أنها لا تملك الدهاء وسعة العقل ولا الخبرة السياسية والقدرة على المناورة التي تجعلها تدرك ذلك وتفعله، ولذا رسم هؤلاء الأبالسة السيناريو الذي يريدونه وهم يُعوِّلون في تحقيقه وإتمامه على رعونة الجماعة، وعلى أنها آلة مبرمجة تندفع آلياً ودون وعي نحو أي مصيدة تلوح عليها لافتة الانتخابات، وهو ما كان!





محاصرة كتل العوام لقصر الرئاسة، وقصفه بزجاجات المولوتوف الحارقة، ومحاولة اقتحامه، في سابقة لا نظير لها في تاريخ مصر على الإطلاق.

دكتور بهاء الأمير

١٥ شعبان ١٤٤١هـ/٨ أبريل ٢٠٢٠م